مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني والثالث ـ المجلد الثامن والثلاثون

بغداد

شوال ١٤٠٧ هـ ـ حزيران ١٩٨٧ م

الإبلاغ والإعلام عند الشاعر العربي قبل الإسلام

الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

للكلمة وقع متميز وحالة مؤثرة تتوقف على اسلوب المخاطبة وتستأثر بقوة اللفظة وتأخذ بعدها في النفس من خلال التأثير المباشر والحالة المصاحبة والطريقة المعبرة . وقد ادركت الأمم وقعها وعرفت تأثيرها واستهدت بها وهي تتدرج في مسالك الحياة وتأخذ نصيبها في السلّم الحضاري فكان الاهتمام بها فناً من فنون القول والاعتناء بتركيبها لوناً من الوان البلاغة واختيار مفرداتها وقعاً محسوساً من ايقاعات التأثير المباشر حتى وجدنا اللغة في مراتب التطور لها أنساق وفي أحكام النقاد لها موازين وفي ضوابط البلاغة لها صور وتراكيب . ولابد ان تكون اللغة الشاعرة أو اللغة القادرة على التعبير هي أوقع في النفس واقرب الى المشاعر والصق بحاجة الانسان لانها تثير فيه الكوامن وتهزّ البواعث وتوحي بكل ما يعطي الانسان مبرر الحركة والتأثر وتشحذُ في نفسه عوامل الانفعال والتعامل مع الحدث . وتترك له خيارَ التحكم في العواطف وسبيل الانقياد لنوازع التأثير . لأن طريقة استخدامها تولدت عن حالة لها خصوصيتها في النفس. ولها وجهها المقبول في التعبير بعد أن اكتملت زمناً . واستأثرت بالاهتمام تجربة . وادّت دورها الريادي عبرَ مراحل التجربة الانسانية ولعلّ وسائل التعبير التي عاصرت الانسان في كل حقبة كانت الوجه المقبول الذي حمله على اختيار المناسب منها ، واستخدام المؤثر في السلوك الذي ارتضاه لنفسه ، والالتزام بما يقوّي حجة الاقناع التي يهتدي

اليها وهو يحاول ايصال صوته والتعبير عن كوامنه والدفاع عن رأي امتدت قناعته الى قبوله والأخذ به ولابد أن يكون الصوت هو الحالة الاولى لذلك وارتفاعه هو السند الثابت في هذا الاتصال والقوة الدافعة والحجة المقنعة هي المحرك الذي يُعطي هذا الصوت تأثيره في السماع وارتضاءه في الاقتناع والخضوع له في حالة المجابهة ، ومن غير المبرر في مثل هذه الدراسة ان نقف على كل وسائل الاتصال التي حاولها الانسان وعبر مسيرته الطويلة لأن امثال هذه الدراسة بحاجة الى دراسة واقع الشعوب والوقوف على عاداتها المختلفة ومعرفة الحالات التي واجهتها وهي وجوه لا تخضع لجانب واحد من جوانب المعرفة وانما تشترك فيها علوم وتلتقي في تحليلها نظرات وتنطلق في تقويم اسبابها مبررات . وقد حاولت ان اقف على حالة واحدة هي حالة الابلاغ التي استعملها الشاعر العربي قبل الاسلام والكيفية التي ارتأها لاعلاء صوته والاساليب التعبيرية التي اتفق عليها لايصال صوته الى مَن يريد ابلاغه . وهي محاولة ليست بيسره ولكنها تضع الخطوط الاولى لعلم الاتصال الذي اصبح من العلوم الحديثة في الأعلام والمستخدمة في كثير من مسائل الحياة للتأثير المباشر وتأدية الاغراض المتوخاة وتعبئة الجماهير وتحقيق الاهداف التي تسعى

اليها الدول وترتضيها لنفسها وفق ما يعترضها من مواقف وقد وجدت ان مفهوم الرواية في الحياة العربية قبل الاسلام ودلالة هذا المفهوم واستخدامه توضح الكثير مما يتصل بهذه الوسائل وهي تؤدي الاغراض نفسها وتنقل وجهات النظر المطلوبة وتتحسس المبررات التي تخالفها في هذا الاداء وتؤكد الدلالة اللغوية للفظة (الراوية) ان المعنى الحسي لها انحصر في الاستعمال بالأناء الذي يحمل الماء كالمزادة ، وتحدّد بالحيوان الذي يحمله ، والانسان الذي يستقي أو الذي يتعهد السقاية ، ثم اصبحت الروايا من الأبل هي الحوامل وواحدتها الراوية ، ثم سمي حامل الشعر والحديث والخبر والايام راوية من باب المجاز فقالوا : راوية للحديث والادب والشعر والاخبار والايام ثم صار

راوية الشعر من يحمل شعر الشاعر وينقله ويذيعه وفي قول النابغة الذبياني :

ألكني ياعُيَيْنُ اليكَ قـــولاً
ستُهديـــه الـــرواة اليـــك عني
قَوافيَ كالسِّـــلام إذا اســـتمرتْ
فليس يَرُدُّ مـــذهَبَها التّطَنّـــى
بِهنّ أُديـــن مَنْ يبغي أذاتـــي
مُداينـــةَ المـــُداين ، فَلْيَدِنّي

والابيات تحدد ابلاغ الرسالة (لعيينة) وهو احد بني عبس وان الرواة سيحملون اليه شعر النابغة وقوافيه صلبة كالحجارة في قوتها وتأثيرها وشدتها ليدين بها من يُريد آيذائي ، ويوقف من يحاول التعرض بي وان ابلاغ هذه الرسالة لا تقف عند حدود الشخص (المبلَّغ) وانما تمتد الى كل الناس الذين يريد مخاطبتهم ، وكل الجماعات التي يوّد ان يعلم مبلغ قوته وتصميمه ودفاعه عن نفسه . ومن الطبيعي ان تكون الرواية عن طريق الاشخاص او الشعر او القبائل هي الوسيلة المقبولة والمهيئة في وسط تتباعد فيه المسافات وتقل وسائل الاتصال وينعدم ايصال الخبر بأية وسيلة غير هذه الوسائل وان الأنسان الذي يدرك اهمية الخبر وابلاغه والشاعر الذي يجد في القصيدة اشهاراً لما يريد ايصاله او الاعلان عنه — والقبيلة التي تريد ان تتحدث عن نفسها او تعلق انتصارها او ترغب في ابلاغ اخرين تهديدها كانت تجد في الشعر صيغة مألوفة وفي اساليبه مضموناً غير قابل للتعبير وفي نقله وفاءً لما تريد أن تعلن عنه .

عرف الانسان المديح منذ أن ادرك سرّ الحيـــاة ، واستشعر الثنـــاء لوناً يمنحه الاندفاع ويورثه الاعتزاز ويثير في نفسه أسبـــاب التواصـــل فكانت الكلمةُ وسيلة التعبير ، واداة التوجيه ، وصـــوت التأثير في كـــل حركة أو ايماءة او اشـــارة وأصبـــح الادب بالـــوانه وفنـــونه وعاءً لاستيعـــاب

المشاعر ، وحكاية للسجل الحياتي للأمم وهي تطوي القرون وتبني الحضارة وتُشيد قواعد البناء ، وقد استطاعت فنون الأدب – وعند مختلف الأمم – أن تعبر عن المشاعر والأحاسيس وتوضح عن الخفايا التي تضيق بها احوال الناس ، وتكشف عن الزوايا التي ظلت في وثناياها كوامن التعامل حبيسة ، ومظاهر الاعجاب غير قادرة على الظهور ، وقدرات الخلق لا تجد لنفسها طريق الاشادة فتندثر معالم ، وتنسى اعمال جليلة ، وتُهمل تضحيات جسيمة والأدب في كل وجه من هذه الوجوه يحمل لواء التعريف ويُخفي ابداع المعتدين ، ويحمي جرأة المؤمنين بقيم الحق ويدفع عن صور الأباء شوائب التزوير وهي حالات متناقضة تقتضيها أحوال وتيسرها أسباب وتواكبها مصالح وترتضيها مستلزمات .. واذا كانت هذه الفنون اسفاراً للتعريف بما لم تقف عليه احداث التاريخ او تُظهره وقائع الايام فان هذه الفنون قد اسهمت – الى حَدّ بعيد – في التجنّي فاحاطت بالرعاية مَن لايستحقها ، ورفعت الى المقام الرفيع من هو ليس أهل له واضفت على العاجزين من الصفات مالايُشرف هذه الصفات أن تلحق بهم فاختلطت المفاهيم واضطربت المقاييس وتفاوتت الأحكام وأُخضعت ثقافات الناس لآراء وجدوا أنفسهم محكومين بها ، واعتمدوا مقولات عاشوا في ظلها ، وردّدوا اقوالاً لم تتيسّر الإ في نطاق المعارف التي حصروا انفسهم في دائرتها .

وتتضح بجلاء طبقة الشعراء الرواة الذين يختصون برواية شعر شاعر بعينه فيحفظون شعره ويتأثرون به ويحتذون طريقه ويقلدون اسلوبه حتى يصبُحوا تلاميذه في المحاكاة وسلسلته في الرواية ورهطه في الاتجاه والتأثير والنظم واما الرواة الأخرون من الشعراء فتختلف مناهلهم وتتحدد مشاربهم فينهلون من كل نبع ويحفظون من كل شاعر ولكنهم يحتفظون بخصائصهم ويحفظون منهجهم ويأخذون طريقهم المتميز في النظم واسلوبهم في التعبير وتبقى القبائل من القنوات الواسعة التي تروي شعر شعرائها وتحفظ أيام انتصارها

وهي تعتز بهذا الضرب الشعري الذي يُعطيها هُويتها في الفخر وسجلّها في المآثر وتاريخها في البطولات وتبقى ابيات بعض شعراء بكر بن وائل وهو يُعيّر بني تغلب لحفظهم قصيدة عمرو بن كلثوم صورة لما اخذت به هذه القبيلة نفسها وهي ترويها صغاراً وكباراً .

ألهى بني تَغْلب عن كُلّ مَكرمَةٍ
قصيدةٌ قالها عمرو بن كُلْثُومِ
يَرْوُونَها ابداً مُذْ كان أوّلُهُمْ
يا للرِّجالِ لشعرٍ غيرِ مَسْئُوم

وتزخر كتب الادب باسماء الرواة الذين نقلوا الينا الشعر العربي واسهموا في نشره وحافظوا عليه من الضياع وهو ينتقل من عصر الى عصر ويُتداول من مكان الى مكان حتى عصر التدوين بعد ان استقرّت الامصار واصبحت الحاجة قائمة لتدوين الايام والشعر والاخبار والمغازي والسير .. (١) ولكن يبقى الشعر في المقام الاول لسرعة انتشاره وصدق تعبيره وسلامة ضبطه بالقافية وقربه الى نفس العربي وهو يتغنى به ويطرب لسماعه وتداوله في اوساطهم فهو ديوان أمجادهم واحسابهم وسجل مفاخرهم ومآثرهم ومستودع عواطفهم وأحاسيسهم وصوت وجدانهم وعواطفهم لما تلمسوه فيه من قدرة على التعبير ، حتى كانت مقولة الجاحظ وهو يتحدث عن تخليد الامم لمآثرها فيقول (٢) فكلُّ امة تعتمد في استيفاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الاشكال . وكانت العربُ في جاهليتّها تَحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفّى ، وكان ذلك هو ديوانها ،

(١) ينظر كتاب مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الاسد من ٢٢٢ ـ ٢٨٣ .
(٢) الجاحظ . الحيوان / ٧١ ـ ٧٢ .

بعد أن وجدت في هذا الديوان كل ما يُعطيها من الحقّ في البقاء والدفاع والاستمرار والتواصل والتعبير عن طبيعة الحياة والوصف لما يعتريها من أحوال وتمر به من مواقف وتلتزم به من مواثيق وقيم وتحافظ عليه من مبادىء وتقاليد . فأفردتْ للشعر تآليف وقيلت بحقه اقوال وجمعت مطولاته مصنفات ومختارات ومجاميع » .

اما ابن رشيق فقد وجد الشعر اكبر علوم العرب ، وأوفر حظوظ الادب ، وأحرى أن تقبل شهادته ، وتُمتثل ارادته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « نعم ماتعلمته العرب الابيات من الشعر يُقدّمها الرجل أمام حاجته ، فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم مع ما للشعر من عظم المزيّة ، وشرف الأبيه ، وعز الانفة وسلطان القدرة (٣) وكتب عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) الى ابي موسى الاشعري مُرْ مَنْ قبلك بتعلّم الشعر ، فانه يدل على معالي الاخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الانساب (٤) . وقد يكون الأبلاغُ نصيحة يود الشاعر نشرها ، أو حكمة يريد اهداء الناس لاتباعها ، او نذيراً يرى الشاعر ضرورة الاستماع اليه كما كانت ابيات عمرو بن الاطنابة (٥)

ألا مَنْ مُبلغٌ الأحلاف عنّي
فقد تُهْدَى النّصيحةُ ، للنّصيحِ
فإنّكُمُ ، وما تُزْجُونَ نحوي
من القَوْلِ ، المُرَغّى ، والصَّريحِ
سَيَنْدَمُ بَعْضُكمُ ، عَجَلاً ، عليه
وما أثرى اللّسانُ الى الجُروحِ

(٣) ابن رشيق : العمدة ١/ ٤ .
(٤) ابن رشيق : العمدة ١/ ١٥ .
(٥) الاخفش الصغير . كتاب الاختيارين / ١٥٩ .

أبتْ لي عِفَّتي ، وأبى بَـلائي
وأخذي الحَمْدَ بالثَّمَنِ الربيحِ
وإعطائي ، على المكروه ، مـالي
وضَرْبي هـامةَ البَطلِ المُشيحِ
بِذي شُطَبٍ ، كلون الملحِ ، صافٍ
ونفسي ، ما تَقِرُّ ، عـلى القبيحِ
وقولي ، كلَّما جَشَأَت وجـاشت
مكانَكِ ، تُحْمَدي ، أو تستريحي
لأَدْفَعَ ، عن مأثرَ صـالحـاتٍ
وأحمي ، بَعْدُ ، عن عِرْضٍ ، صحيحِ

فقد ذكر ان معاوية بن ابي سفيان كان يقول : يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعرُ اعلى مراتب الادب . وقال : اجعلوا الشعر اكبرَ همكم ، واكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين ، وقد أتيت بفرس اغرّ ، مُحجَّل بعيد البطن عن الارَض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملني على الاقامة الا ابيات عمرو بن الأطنابة وذكر الابيات (٦) .

وقال الزبير بن بكار : سمعت العمري يقول : رَوّوا اولادكم الشعر فانه يَحُلُّ عُقَدةَ اللسان . ويشجعّ قلب الجبان ، ويُطلق يَدَ البخيل ، ويحض على الخلق الجميل (٧) . فالشعر تعبيرٌ عن كل وسيلة تُسهم في خلق الحالة المطلوبة . وصوت يحمل الانسان على الاقتداء بما يعيد النفس الى الوضع الذي تصبح فيه نقية صادقة ، وعلم له مدلولاته الحية في نمط الحياة الانسانية .. وقد استطاع الشعر أن يخلّد اعلاماً لولاه لظلت بعيدة عن الذكر ،

(٦) ابن رشيق : العمدة ١/١٥ ـ ١٦ .
(٧) ابن رشيق : العمدة ١/١٧ .

حتى اصبحت مثلاً سائراً ، واثراً باقياً لا تبلى جدتها ولا تتغير بهجتها . فهرم بن سنان خلّده زهير بن ابي سلمى لموقعه الانساني من حرب داحس والغبراء، والمُحلّق الذي أنشد الاعشى قصيدته في مديحه بعكاظ مشيراً الى كرمه ومُشيداً بوفادته من ابيات يقول فيها :

ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه
كما زانَ متنَ الهندوانيِّ رَوْنقُ

كان مغموراً لايُعرف ، وخاملاً لا يُذكر حتى اذا قبلت منه القصيدة فان الناس ينسلون اليه يهنئونه والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه لمكان شعر الاعشى . وبنو انف الناقة كانوا يفرون من هذا اللقب ويتجاوزونه عند سؤالهم عن نسبهم الى ان ذكرهم الحطيئة واثنى على ضيافتهم فقال بيته المشهور :

قَومٌ هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب . ويمدون به اصواتهم في جهارة . ومثل هؤلاء « عرابة الاوسي » الذي اشتهر بشعر الشماخ بعد أن بذل في سنة شديدة واطعم من هم بحاجة فقال :

رأيتُ عَرابة الأوسي يسمو
الى الخيرات منقطعَ القرين
إذا مارايةٌ رفُعت لمجدٍ
تلقّاها عَرابة باليمين

ولهذه النماذج نظائر خلدها الشعر العربي في العصور التي تلت هذا العصر عرضنا عن ذكرها وتجاوزناها لحصر الموضوع والوقوف على الوسائل التي وجد فيها الشعراء اسباباً للتعبير ، واذا كان الشعراء قد وجدوا في المضامين القيمة العزيزة طريقاً للحديث عن الممدوحين . واستثمروا الحالات الانسانية التي تستثير الاعجاب وتحظى بالاستئثار فان اساليب التعبير واستخدام الصيغ

الاعلامية وخاصة في حالة التهديد والوعيد قد اخذت حجمها في القصيدة الجاهلية وسأقتصر على صيغة الأبلاغ التي وقفت عليها باعتبارها الاشارة المتميزة في مجتمع يعتمد النقل عن طريق الأبلاغ وسيلته السريعة ، ويقترن الأبلاغ احياناًبالراكب الذي يجد في راحلته امتدادا لهذا النقل وخطاً مباشراً يُمكنه من ايصال الصيحة او نقل التهديد او اعلام المقصودين بالأبلاغ وهي اسلوب واحد أثرت أن أقف عليه من مجموع صيغ أخرى تُعطينا اهمية الكلمة وقدرة التعبير وقوة الوسيلة التي تسهم ، في اكمال صورة الاعلام والابلاغ .

وعندما يُصبح الاعلان امراً له ذيوعه وانتشاره ، وان الحاجة تدعو الى ابلاغ أي راكب يمرّ . او اعلام أي طارق يُكتب له ان يخترق المفاوز ، ويجوب المتاهات ليصل الى قومه او ينتقل الى مربع يجد فيه الماءَ والكلأ ، او يحمل خبراً يُطلب منه ايصاله . . ان صيغة الابلاغ جاءت نكرةً لاتخص راكباً بعينه ، ولا تعني رسولاً مخصوصاً ، وانما جاءت مطلقة ، تسريعاً في نشر الاخبار . واشهاراً لذيوعه . ويأخذ هذا الاسلوب صيغة الصرخه الصاخبة لانه يأتي في إطار التشفي بأخذ ثار او استرداد حق أو تسجيل مأثرة ، وقد يكون في بعض الاحيان ارسال خبر سَريع لقبيلة يعاني احد افرادها حالة تدعو الى الاشفاق أو التعجيل بالنجدة . . . فخداش بن زهير حين وجد قومه غير قادرين على ادراك ما يريدون ثارت ثائرته ووصف قومه بالعجز عمن اصابهم لتحولهم الى اعدائهم فقال : «٨»

ياراكباً ، إما عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
عقيلاً وأبلغْ إن عَرَضتَ أبا بكر
فيا أخوينا ، من ابينا . وأُمِّنا
اليكم . اليكم ، لا سبيلَ الى جَسْرِ

(٨) الاخفش الصغير . كتاب الاختيارين / ٤٣٧ .

وتبقى صيحة دريد بن الصمة وهو يدرك ثأره من قاتل اخيه صرخة يبلغ بها كل السائرين في مسالك الصحراء ويعلم بها كل الذين تغذّ بهم السير رواحل العرب لتشق وديانها لينقل اليهم الخبر المفرح والصوت المحبب والصريخ المستغيث . وهو ينادي «٩» .

أياراكباً اما عرضت فبلغنّ
ابا غالبٍ أن قد ثأرْنا بغالبِ
وأبلغ نُميراً ان مَررتَ بدارهِا . . . . .

وهنا تعلو صورة التشفي وتتجلى قسمات الظفر بالثأر ، والقدرة على النوعد ، وحالة الاستقرار النفسي التي ساورت الشاعر وهو يُعلن على رؤوس الاشهاد مواجهة الحالة الجديدة بعد ان ظلت حالته النفسية رهينة الاخفاق ومكانته القبلية موضع التخفي بسبب الواقع الذي امتلك حياته والوى صوته الشعري . وتبدو قوة الظاهرة وحدة الانفعال في الصوت المرتفع والتعبير الشامخ وهو يطوي الحالة البائسة والدوّي الواسع وهو يملأ اسماع الراحلين في هذه الارض ليخففوا عنه عبءَ الألم ويرفعوا عن كاهله ثقل الهموم وينزعوا عن نفسه اغلال الاحتباس التي عاشت في وجدانه . .

انه محاولة التخلص من هموم القيم التي احكمت الحياة وفرصة الاندفاع لابعاد شبح الهزيمة الذي ظل يطبق بكوابيسه وتصوراته على انفاس الشاعر حتى وجد الفرصة مواتية والحالة مدعاة لهذا الابلاغ ولما ادرك الأسعر الجعفي ثأره كانت ابياته توحي بالتشفي وتعبر عن الحالة النفسية التي تحسسها «١٠» .

أبلغ أبا حُمْرانَ أن عشيرتي
ناجوا وللقوم المُنَاجين التَّوى

(٩) الاصمعي . الاصمعيات /١١٧ .
(١٠) الاصمعي . الاصمعيات/١٥٧ .

ولما ظفر الحصين بن الحمام المُرى بخصومه ، وهزمهم وقتل منهم فأكثر كانت كلماته تسابق اخبار الانتصار التي يعلن فيها ابلاغه لكل الذين ارادوا تفريق قومه بانهم واهمون وما حذرهم به من تنازع وعاقبة وخيمة . . فيقول «١١» .

وأبلغْ انيساً سيد الحيّ أنه
يسوسُ اموراً ، غيرُها كان احزما
وأبلغ نليداً أن عرضت ابن مالكٍ
وهل يَنْفَعَنَّ العلمُ الا المُعَلَّما

وتستعمل صيغة الابلاغ التوثيب احياناً والدعوة الى الثورة ، والحث على عدم الرضوخ للظلم ، والحض على الأنتفاضة والاستهانة بمن يقعد دون الدفاع عن نفسه وعن ابناء قومه «١٢» .

قال المسيب بن علس

أبلغْ ضبيعةَ ، أن البلا
دَ فيها ، لذي مَهرَبٍ ، مَهْرَبُ
فقد يَجلسُ القومُ ، في أصلهم
اذا لم يُضامُوا ، وإن أجْدَبُوا
فإنّ الذي ، كُنتمُ تَحْذَرو
نَ جاءَتْ عيونُ به تَضْرِبُ
فلا تَجلسوا ، غرضاً للمنو
نِ ، حَذْفاً ، كما تُحذف الأرنب
وسيُروا على مثلِ أولاكُمُ
ولا تنظُرُوا مِثلها ، واذهبوا

(١١) المفضل . المفضليات ١ / ٦٦ .
(١٢) الاخفش الاصغر . كتاب الاختيارين / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

وحين يجد الشاعر نفسه وحيداً ، بعد ان تخيب قبيلته امله بما يحتاج اليه ، يضطـر الى استعمال صيغة الابـلاغ والتذكير بما سلف اليهم من فضل الدفاع عن احسابهم ويعيب عليهم تخليهم عنه ، ويلومهم على التفريط به ، وكثيراً ما يأخذ العتاب صيغة الانتسـاب الى قبائل أخـرى لاتبخل عليه بما طلبت ، ولا تخيب امله بما يرغب في الحصول عليه . . . وان صيغة استعمال الفعل أبلغ تأخذ هيئة الخيبة بالنسبة للشاعر والشدة في مطالبة الاخرين والاحساس بالمرارة في حالة تذكر الدور الذي ادّاه .

وتتضح الصورة في قول أفنون التغلبي الذي استخدم تعبير وَخلّل في سراتهم ليجعل بلاغه متخلّلاً ابناء قومه :

ابلغ حبيباً وخلـل في سَراتِهـم
أن الفؤاد انطـوى منهـم عـلى حزن

وهي تذكرنا بمنذرة لقيط التي وصف بها جند الغزاة من الفرس وما يضمرونه للارض العربية والانسان من حقد دفين ذاكراً عدتهم وعددهم ، محفزاً القبائل على ردها ، مذكراً اياهم بالمجد العريق ومحذّرهم من النتائج الواضحة التي تنتظرهم لو استكانوا للأمر وقد كلفت هذه القصيدة الشاعر حياته حيث يقول في بدايتها :

أبلغ اياداً وخَلّـل في سراتهـم
اني ارى الرأي إنْ لم اعصَ قد نصعا

والشطران الاولان في القصيدتين يتفقان من حيث الغرض المطلوب والشدة في مطالبة الاخرين واسماع ابناء القوم ما يساور الشاعر من مخاوف وتنتابه من هواجس وتستثيره من دواعي. .

ويستخدم بشر بن عمرو الصيغة نفسها وهو يشكو تغلب الامان واختلاف الحدثان ويرى في صيغة « أبلغ » (١٣) التعبير الحقيقي لما يخالج نفسه ويطلب

(١٣) المفضل . المفضليات ٢ / ٧٦ .

الممزق العبدي من يؤدي الى النعمان ان رجلاً قد اضحى لايأبه به وكان توجهه باستعمال « من مُبلغ النّعمان » «١٤» .

وحتى في حالة المديح تستخدم صيغة [أبلغ] لما ترافقها من اشهار ويصاحبها من نقل الأحساس الصادق وتوحي صيغة المخاطبة بالغرض الذي تؤديه هذه اللفظة ولكن تبقى صيغة الاعلان والاشهار والأبلاغ هي الهدف المطلوب والصوت المتحدث والكيفية التي تحقق .

فمن مُبْلِغُ النُّعمان أن ابن أختهِ
على العين يَعتادُ الصَّفا ويُمَرّقُ
وأن نُكيزاً لم تكُن رَبَّ عُكَّةٍ
لدُنٍّ صَرَّحت حُجَّاجُهُمْ فتفرّقوا
قَضى لجميع الناسِ إذْ جاء إمْرُهُمْ
بأن يَجْنبُوُا افراسَهُمْ ثم يَلْحَقُوا

وحين اراد عميَرة بنُ جُعَل أن يهجو رجلين ويتوعدهما بالسلاح استعمل صيغة البلاغ وذكر الاسماء واشار الى سلاحه ونعت سنانه نعتاً دقيقاً فقال (١٥) :

فَمَنْ مُبْلِغٌ عنّي اياساً وجَنْدلاً
اخا طارق والقولُ ذو نَغَيَانِ
فلا تُوعَدانِي بالسلاح فإنّما
جَمَعْتُ سلاحي رهبة الحَدَثَانِ

وكان الشعر موضع اهتمام الناس تنتشر ابياته فتحملها الرياح الى كل مكان ، يتناوبون تلاوته ويروون ابياته اذا كانت حسنة جيدة . تأتي الناس

(١٤) نفس المصدر ٢ / ١٠١ .
(١٥) المفضل . المفضليات ٢ / ٥٩ .

وهم ينتشرون في كل موقع وتصل اليهم وهم بعيدون في اقاصي الجزيرة لا حدود تحدّ انسيابها ولا حواجز تحول دون وصولها وقد عبر المسيب بن علس عن هذه الظاهرة وهو يمدح القعقاع بن معبد بن زرارة الذي كان يقال له تيار الفرات لسخائه . (١٦) .

فلأهدين مع الرياح قصيدةً منى مغلغلة الى القعقاع
ترِدُ المياه فما تزال غريبةً في القوم بين تمثل وسماع

وقد أني صيغة الأخبار عن الدعوة الى الوقوف والاستماع لأن حديث الرحلة هو الحديث المعتاد واسلوب المخاطبة هو الصيغة المعروفة ، ونشر الخبر عن هذا الطريق هو المألوف في مثل هذه الحالات . ولهذا كانت صيغة التثنية (ولها حديث آخر) من حيث المخاطبة من الأسباب التي استخدمت . فالحارثَ بن ظالم يدعو من يُناديه لسماع الخبر بقتل ابن الملك الذي كان في حجر سنان بن ابي حارثة ومن اجل ذلك حاربه .. فيقول (١٧)

قفا ، فاسمعا أُخبرْ كما ، إذْ سألتُما مُحاربُ مَولاه ، وثكلانُ ، نادمُ
فأُقسِمُ ، لولا مَنْ تعرّضَ ، دُونَهُ لخالطهُ صافي الحديدةِ ، صارمِ

وكثيراً ما كانت تستخدم الرايات في الاماكن المعروفة والأسواق التي يجتمع فيها الناس للاعلان عن حالة أو التعريف بغادر أو التشهير بحادثة وهي أساليب اعتادها العرب ، وصيغ الزموا بها عند الاشهار والاعلام وفي اشارة (الحادرة) تذكير بهذه الحالة واعتزاز بانه لم يكن من اولئك الذين ترفع لهم الألوية لما ارتكبوه من غدر . كما كانوا يفعلون ليعرفه الناس (١٨) .

أسُمَّي ويحكِ هل سَمعتِ بغَدْرةٍ رفُعَ اللواءُ لنا بها في مَجْمَع

ويتوالى ذكر الابلاغ عند زهير وهو في كل مرة يُعطيها صورة الغرض

(١٦) المفضل . المفضليات ١/٦٠ .
(١٧) الاخفش الاصغر . كتاب الاختيارين / ١٩٣ .
(١٨) الحادرة . الديوان /٣١٠ .

الذي يجد فيه حالة التأكيد ويرى في صيغته قدرة التعبير .

فالمنطق ما يريد به الشاعر الكلام الذي لايمحي ولا يملك هذه الوسيلة الإ شاعر متمكن قال زهير : (١٩)

ليأتينّلك منّى منطقٌ قذعٌ باقٍ كما دنّس القُبطيّةَ الودَكُ

وقد يجد في صيغة الأبلاغ اشعاراً بحالة الغزو وتمهيداً لما يمكن أن يوجه به في حالة الانذار كما جاء في قول زهير : (٢٠)

ألا ابلغ لديك بنى شميم وقد يأتيك بالنُّصح الظَّنونُ
بان بيوتنا بمحل حَجْرٍ بكل قرارةٍ منها نكون
بأودية اسافلهنَ روضٌ واعلاها إذا خفنا حصون

ويكون الابلاغ بما يريد الشاعر ان ينقله الى خصومه من استقرار في الحياة ورغد في العيش واتساع في المنازل وكثرة رجال وعُدة من السلاح والخيل وماُدرّيت عليه وما توصف به من عتق واصالة لينزع من قلوب خصومه الثقة ويغرس فيها الرعب والخوف . كما قال زهير : (٢١)

واني لمُهدٍ من ثناء ومدحة
الى ماجد تُبغى اليه الفواضل
أبى لابن سلمى خَلتّان اصطفاهما
قتال إذا يلقى العدوَّ ونائل
وغزو فما ينفك في الارض طاوياً
تقلقل افراسَ به ورواحل

وحين اخذ الحارث بن ورقاء الصيداوي راعي ابل لزهير اسمه يسار كانت ابياته اعلاناً لهذا الحدث الذي تنادت به العرب وانتقل على لسان الرواة

(١٩) زهير . الديوان/١٨٣ .
(٢٠) زهير . الديوان/١٨٤ .
(٢١) زهير . الديوان/٢٩٦ .

وقد وجد زهير في التجار (الذين يتجولون بتجارتهم بين القبائل وسيلة لذيوع الخبر وانتشاره فيقول . (٢٢)

فابلـغ إن عرضت بـه رسولاً
بني الصيداء إن نفَـع الجِـوَار
بان الشّعَر ليس لـه مَـرَدُّ
اذا ورد الميـاه بـه التّجـارُ

وحين بلغ زهيراً ان بني الصيداء نَهوا الحارث بن ورقاء أن يَرُدَّ يساراً قال . (٢٣)

ابلغ بني نوفل عني فقد بَلَغَتْ منى الحفيظةُ لما جاءني الخبرُ
ان ابن ورقاء لا تُخشَى غوائله لكن وقائعَه في الحرب تُنتظَرُ
اولى لكم ثم أولى أن يُصيبكمُ منى بواقرُ لا تُبقى ولا تَذَرُ

وفي مديحه لسنان بن ابي حارثة المُري والاشادة بافضاله والحديث عن مروءته يُعلن صوته وهو يبلغ كل القبائل بان الممدوح وما يضفي عليه من الخصال عنوانُ للمجد وفخر للمكارم فهو يمنع الجار يوم الروع وغياث لكل محتاج . (٢٤)

بَلّغ قبائـل شتى في مَحلّهمُ
وقـد يجيء رسول القوم بالخبر
لـولا سنان ودفـع من حُموّته
مـازال منكم اسيرُ عند مقتسر

فكلمته إعلام وصرخته صحيفة وقولته رواية لا تحجبها موانع ولا تحول دون نشرها رقابة لامتلاكه الوسيلة وقدرة الأداء ومعرفته بالكيفية التي تحقق

(٢٢) زهير . الديوان/٣٠٥ .
(٢٣) زهير . الديوان/٣٠٥ ـ ٣٠٧ .
(٢٤) زهير . الديوان/٣١٨ .

له الصورة المطلوبة .. وهو يعلم الناس بالموقف المترتب على وجود سنان وكيف يدفع عنهم شراً ويحقق نصراً ويُشير الى الرسول الذي ينقل الخبر ويذيع الرواية .

وفي ابيات اخرى ينذر بني سُبيعَ ويعلمهم بان النوائب تدور فيها تهديد واضح . (٢٥)

ألا ابلـغ لديكَ بني سُبيَع
وايـامُ النوائب قد تـدور
فقُلنا : يال أشـجع لن تفوتوا
بنهبكَـمُ ومرجلُنـا يفورُ
كأنّ عليهمُ بجُنُوبِ عِسْـر
غمـاماً يسـتهِلُ ويستطيرُ

وقال رجل من بني سَدوس يعربُ عن حكمته في الحياة ويوصي بصُنع الخير ، ويُسفّه من يعتقد بعقد التمائم والتشاؤم والمعتقدات الكثيرة التي سادت المجتمع .. (٢٦)

مَنْ مُبْلغٌ عَـوْفَ بـنَ لأ
ي ، حيثُ كان مـن الأَقاوِم
أنّي غَـدَوْتُ ، وكنـتُ لا
أغـدو ، على واقٍ ، وحاتَمْ
فإذا الاشـائِمُ كـالأيـا
مـن ، والأيـامُن كالأشـائم
وكـذاك لا خيـرٌ ولا
شَـرٌّ عـلى أحـدٍ ، بدائـم

(٢٥) زهير . الديوان/٣٣٧ .
(٢٦) الاخفش الاسغر . كتاب الاختيارين/١٧١ ـ ١٧٢ .

لايَمْنَعَنَّكَ ، مِـــنْ بُغا
ءِ الخَـيْـرِ ، تَعْقِيدُ التَّمائـم
لا والتشـائم ، بـالعُـطـا
سِ ، ولا التَّيَمُّن ، بـالمقاسم

وتنتقل الصيغة احياناً الى التوعد ويكون الأبلاغ اشدّ والتهديدُ ابلغ والصفحة اكثر انساعاً لمفردات الانذار التي يسلسلها الشاعر في السياق العام للقصيدة بعد أن تحدّد الغاية والوجهة منذ استعمال (ابلغ) تمهيداً للحديث وتوطئة لعرض الافكار التي تعطي الصيغة حدودها المقصورة فالاجدع بن مالك الهمداني يتوعد ابا عمير ويُعيره بعد ان يرثي فَوارس من بني ربيعة وقد جاءت حالة الأبلاغ بعد الرثاء التي مهد لها بالتساؤل على غير المألوف في قصائد التشفي الاخرى التي وقفنا عليها (٢٧) :

أسألتِني بركائب ورحالهـــا
ونسيتِ قَتْلَ فوارسِ الأرباعِ
فلـو أنني فُـوديتُه لَفَديتُـهُ
بانامـلي ، وأجَنَّـهُ أضـلاعيَ
أبلـغ لَدَيكَ ابا عَميرٍ مُرسَلاً
فلقد أنخْتَ بمنـزلِ جعجـاعِ

ويسلك حَجْلُ بنُ نضلة هذا الطريق في التوعد ولكنه يجعل صيغة أبلغ في مطلع القطعة فيقول (٢٨) :

أبلـغْ معاويـةَ المُمَزَّق آيَـةً
عَنّي ، فلستُ كبعض ما يَتَقَوَّلُ

(٢٧) الاصمعي . الاصمعيات/٦٤ .
(٢٨) الاصمعي . الاصمعيات/١٥٤ .

إن تَلْقَني لا تلقَ نُهْزَةَ واحد
لا طائشٌ رَعِشٌ ولا أنا أعْزَلُ
تحتي الاغرُّ وفوق جلدي نثرةٌ
زَغْفٌ تَرُدُّ السيفَ وهو مُفَلَّل

ويبدو أن الشاعر حاول أن يوثق تهديده بما ألفه الفارس من قوة وبطولة واعتمده من فرس أغر ودرع سلسة الملبس لينة ترد السيف وهو مثلم ..

واذا وجد الشاعر نفسه قد انجز عملاً يستحق عليه المديح أوردّ محاولة تشين ابناء قومه أو غسل عاراً يمكن أن يلحق بهم كانت الصيغة في حديثه ذات صوت اعلى وصدى ارفع وخاصة اذا كانت ديار المقصودين بعيدة وهو ما يشير اليه الشاعر في هذه الصرخة . فهذا عوف بن عطية يُعلن عن محبته في ابياته فيذكر (مبلغ) بعد ستة ابيات (٢٩) :

فَمنْ مُبْلِغٌ تَيْماً على نأي دارها
سَرَاتُهُمُ والحاملين العظائما
عَمَدْتُ لأمرٍ يَرْحضُ الذمَّ عنكم
ويَغسِلُ عن حُرِّ الأنوفِ الخواطما

ويعبر الشاعر عن الرسالة والخبر باللسان ويأتي هذا في معرض الاخبار عن الوقيعة أو تحرك الجيش او الأنذار بهجوم غادر كما ذكر المرقشَ الاكبر (٣٠) :

أتتني لسانُ بني عامرٍ
فَجلَّتْ أحاديثُها عن بَصَرْ
بأنَّ بني الوَخْم ساروا معاً
بجيشٍ كضوءِ نجومِ السَّحر

(٢٩) الاصمعي . الاصمعيات/١٩٣ .
(٣٠) المرقش الاكبر . شعره . مجلة العرب/٢٠ .

وتتداخل الصيغ [أبلغ] و [مبلغ] و [ابلغا] عند النابغة الذبياني فتذكر في سبعة مواضع وهي لا تخرج عن اطار التهديد والتوعد والاشعار بالأنذار(٣١) وكذلك الأمر بالنسبة للاعشى (٣٢) .

واذا كان دور الشاعر العربي قبل الاسلام قد حقق هذا الجانب فان دوره كان واضحاً في القصائد (المنذرات » التي كانت اعلاناً بالتهيؤ ، وانذاراً بالخطر المحدق ، وتحديداً للفواجع المترتبة وتبقى قصيدة لقيط بن يعمر الأيادي صحيفة واعلاناً لما حملته من اشارات وصوناً يجوب الجزيرة لينقل اليهم ما كان يتوقعه لو زحفت زحوف كسرى وفاجأت بني اياد قوم الشاعر ، وان دفع الشاعر حياته ثمناً لهذه التضحية النادرة والقصيدة التي انتشرت اخبارُها وذاعت مضامينها وهي تحذّرهم وتنقل اليهم صورة الجيش بُعدته وعتاده وحقده وغطرسته . . .

وكذلك كان الشعر حاسماً في المعارك الاسلامية الأولى وهو يدافع عن فكرة التوحيد ومبادئ الخير ويستثير في نفوس المؤمنين صلابة الايمان ويضعف معنوية المشركين الذين كانت تنزل عليهم قصائد حسان وكعب وعبد الله بن رواحة وتملأ نفوسهم رعباً وتنزع منها كل محاولة للمقاومة وفي حث الرسول الكريم الشعراء على قول الشعر ودعوتهم للاستزادة وقد ادّى الشعر ما أُريدُ له ان يؤديه في تقويض دعائم الشرك ووفق الشعراء الى استخدام الصيغ البليغة التي تسربت الى نفوس الخصوم عنيفة تحمل التقريع ، صلدة تثير المخاوف مرعبة ترهب القلوب الواهنة . . وبعد ان اصبحت القصيدة اعلاماً متحركاً وصوتاً مسموعاً وخبراً تتناقله الألسن وتتحدث به المجالس وتسير به الركبان لا تقطع كلماته ولا تطمس مقاطعه ولا تحرف حروفه . .

---

(٣١) ينظر ديوان النابغة (٨٠) ، (١٠٤) و (١٥٣) و (١٦٧) و (١٧٢) و (٢٠٧) و (٢١١) .

(٣٢) ينظر ديوان الاعشى (٦١) و (١٨٥) و (٢٢٩) و (٣٠٥) .